حسن فتح الباب

مدينة الدخان والدمى

١٩٦٧

وزارة الثقافة
المؤسسة المصرية للتأليف والنشر
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

من وحي رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية
في صيف سنة ١٩٦٥

حسن فتح الباب

فتى من سلفادور

مِن سلفادور

مِن أرض الشّاعر والقيثار

من شطّ الأسرار ؟

لِمَ أقبلْتَ ؟

يا طيْراً حطّ على جبل النّار

لايَخشى الموت

لم أقبلت ؟

فى أفْقٍ لم يُخلق للأطيار

لم يخفقِ فيه جناحُ كنار

يوماً إلاّ بعضَ نهار

وهَوى عند غروب الشمس

يا طيراً غضّ الأنغام

لا يَبْهرْك الضّوء
إن الضّوء سراب
والشّطّ الأخضرَ أوهام
والأفْق عذاب
حاذِرْ لا يلقفْك النوء

❋ ❋ ❋

لم أقبلت ؟
بحثا عن حب أكبر
عن كنزٍ .. عن إلهام
فى أرض الأحلام ؟ !
يا طيراً من سلفادورَ يغنّى الحب
إن الحبّ امرأةٌ من شمع
تمثالٌ عريان
فى بيتٍ من جدران
لا يعلوها سَقْف
مازلتَ تبث الأنغام
تُشْجى القَلْب
فى كهفٍ عاثت فيه الأقْدام



ظَمِئتْ .. شَرِبَت .. ثَمِلَت
عافَت دنياها فى الكهف
ثم تَولّت
خاضتْ فى بحرٍ من دَمْع
قرّت عيناها بالخوف

* * *

لِمَ أقبلت ؟
خُذْ مِعزفَك الرنّان وعد
فأنا كم غنّيْت
كم غنيتُ ولكنْ
ضاع غنائى فى االكهف
خنَقت أنغامى صرَخاتُ الأقْدام
غاصت رأسى فى الأمْطار السوداء
صدئت أذنى بتراب الإفك
سملَت عينىّ أيادٍ ممدوده
تتلقّف ثَمره
سقطت تحت الأغصان
تتلقّف كِسره

من مائدة الحمقى
الباكينَ على كلبٍ يتركُه السلطان
الجوْعى للدم

***

يا طيرا من سلفادورَ يغنى الحب
لم أقبلت
أدرِكْ عشَّكَ لا يغمرْك الطوفان
لاتَسْقُطْ نغماً فى أقدام المخمورين
خُذ معزفَك الرنّان وعُد
يا طيرا لم يتعلّم بعد
أين يُغَنّى ؟ !

تذكار الأيام المائة

الأيّامُ المائه

ماذا أخذت منى

ماذا أعطتنى ؟

عينى كم قرّت كم رَوِيَت

حتى ثَملت من فَرْطِ الحُسن

يا لله

من أين أتيت

بالسِّحْرِ يوشّى وجهَ الكون

يُضْرِم فينا الوجد ؟

الأفْق السّاجى أقمارٌ خُضْر

أشرعةٌ ومناديلٌ من ورد

وشموسٌ تجلو أشباحَ الويل



والشّجر السيّال الخُضره
يلمعُ تحت ذراع النّهر
ينفُض فى أحضانِ الليل
آهاتِ العُشّاق

***

يا لَلمغترب الجوّاب على الشُّطآن
يضرب فى غاباتِ الفَجر
من أينَ أتيت ؟
من أرض اللّوتس والطِّيب
من وادى الصّبر ... ؟
لِمَ أقبلت ؟
فى أفقٍ مسحور الطّير
يَتهدى بالألحان العذراء
أزهارا فوق بُحيراتٍ
بالسِّحْر العاتى كالأنْواء
فى الجسَد المنساب الموجاتِ
بالفتْنة فى وهْج الشَّعر الأحمر
يحتضن شعاعَ الأحْداق

يرتعش حنيناً للأعناق
يعتصر الأشواق

***

يا عينى .. ماذا صنعت ليْلاتُ الوجد
ماذا أخذت منى
ماذا أعطتْنى ؟
ألقت بى ظمآناً فوق المد
والعالَمُ طوفانٌ من وَيْلات
والشرْق يُلاقى الغرب
عبْرَ بحارِ الظُلُمات
يبحث مهتاجا عن رُبّان
يغسل عارَ القُرصان

***

يا عينى
ضاعتْ منى الحكْمهْ
غاصت رأسى فى الأمطار
أسلمْتُ شراعى للفتنه
وانتفضَتْ فى صدرى شمعه

من أنفاس الفجرِ الأبيض
طابت جنّاتُ الأرض
للموعودين
واشتعلت ثوره
يا صُنّاعَ الأحزان
يا جلاّدِي الكَلِمَه
ذابت أحزان المحرومين
غمرتني صَلواتٌ للحُب
أودَعْتُ ضلوعي كلَّ الناس
حتى أعدائي دخلُوا بيتي
ونثرتُ لهم حبّاتِ القلب

* * *

عيني كم قرّت ، كم روِيت
حتى ثَملت من فرْطِ الحُسن
لكنْ أذني ما استمعَتْ
يوما إلاّ سئمت ، ملّت

أغنية في ليل الغربة

الليل يا حبيبتي أسلمني إليك

على جناحٍ راعشٍ رَهيف

يَطوي مغانيا بلا سقوف

يَطفو على أفقٍ بلا نُجُوم

تُثْقِله الهُموم

يقولُ لك

يا نجمتي يا بُرْءَ قلبيَ العليل

عالمُنا لم يأتِ بعد

ودربُنا طويل

في مدينة الرّخام والرّصاص والسُّحُب

تثقُب قاعَ الصّمت صَرْختان

تضجُّ في الأسماع ضِحكتان

لأنّ طيّاراً رَموْا به أعاليَ البِحار
وفوقَ مَعبرٍ صغير
تَطْرقُه هناك طفلةٌ وأم
بين حقُول الأرزِ والثّمار
ألقى بحمله الثّقيل
فَطَهَّر الغاباتِ والتّلالَ والأنهار
ولم يَعُدْ
لكنّه قد أدركَ المُحال !
بطولةٌ تُروَى وتذكارٌ لغد !
فى غابةٍ بلا سماء
مدينة الدّخانِ والنِّساء والدُّمَى

* * *

حبيبتى ، عالسّمُنا لم يأتِ بعد
ودرْبنا طويل
هيّا نشُدّ رحْلَنا إلى الوطن
نُغالِبُ الزّمن
لنلتقى هناك بالرّجال



بيت ورياح

حينَ بلغْنا المنُعطَفَ الثّانى (١)
ذات مساءٍ فى أوهايو
غاصت فيه الظّلْمةُ واستعلى النور
كانت سيّارتُها تَطوينا فى قلب الليل
وأشارت : هذا بيتى
ما زالت فى الجدْرانِ بقايا كتبى
ضَحكات صِغارى أبناءِ أخى
أبناء الأمريكىّ الأسود
ما زالت تتردّدُ فى الشُّرفات
فى بيتى
خنقتها باسم الدستور الشُّرْطه
لِيُقامَ على الساحة قصرُ الحاكم

---

(١) فى صحبة الشاعرة الزنجية الأمريكية Jessie Hathcock

وحرامٌ أن يجمعَ حَيٌّ شَمْلَ الزنجى

فى أوهايو

***

وبدت فى المركبة العجفاء

أكثرَ مِنّى غربه

أكثرَ تحديقاً فى الآفاق

فى همس بُحيراتٍ خلف الغابات

فى الألَق المنسابِ على البرّيّه

فى الأسفلتِ اللامعِ تحت العجَلات

فى قطَرات المطَرِ الفضّيه

فى أحداقِ الليـل

تتسمّع صوتاً لا يأتى

يوماً قد يأتى

عَبْرَ البوّابات الذهبيّه

يقتحم القارّاتِ الخمس

يستحيى الإنسانَ الآله

يُسكت همًّا توقده أنفاسُ الليل الدافئةُ الرّطبه
وعبيرُ الورد الذائع فى أوهايو
وهيامُ العشّاق على الجُزُر الممتده
وقلاعٌ بهَرت عينى
سامت روحى الويل
ورياحٌ من خلفى عصَفت بى
من حيثُ أتيت
من أرض العربىّ التائه
من مهد الجبّارينَ المهزومين
يا أختاه
قَصّت شعرَ الفارس أيدى صهيون
جدَلت أحبالا للأطفال الجوعى
بقَرت أحشاءَ نساءٍ كانت تُرْضِعُ
... أطفالَ العَرب المقهورين
وَيْلٌ للجبارينَ المهزومين
مات صَلاحُ الدين
فَلْيُبْعَثْ ألفُ صلاح الدين
يُطفِىء جمَراتِ الحُزنِ الرابضِ فى الأضلاع

ليعودَ طريدٌ للمَجْدل
يَلْمَعُ في جبهته وهْجُ الشمس
وتضيء بعينَيه الرّبَوَات
وتعودَ الراياتُ الخُضْر
أزهاراً فوق ظلال الزيتون
ومناديلَ على البَيّارات

* * *

سيِّدتي
طال علينا في أوهايو الليـل
رفَّت أعلامُ الفجر
يا أختــاه
ألقاكِ على خير

رؤيــا

رأيتُكِ في الرّوابي الخُضْر والسُّحْب الرّماديّه
وفوق مروج فرجينيا الخريفيه
مكانَ الشّمسِ من حولي وفي قلبي
فما ارتعَشَتْ على دَرْب الغريب خُطاه
ولا غاصت به الرؤيا
وكان لقاء

❋ ❋ ❋

غريبَيْن تلاقَيْنا فما عادت بنا الذّكرى
إلى لَيْلاتك المبهورةِ الأنفاس
نَشاوى العِطْر .. والأجراس
تَدُقّ على رُبا روما
تُحيّي الأمس
وتُحْيي الحب

أتت روما بلا حُرّاس
وغيرَ ملامح الأطفال لم نشهد
ونجمٍ فوقنا يُولد
تعالىْ ، ذابت الأسوار
ومالَ الوردُ تحت ظلال خديكِ
وغابَ اللّيل والأسرار

***

وما عادت بنا الذّكرى
إلى أياميَ المنزوفةِ الأشواق فوقَ النّيل
وأصداء من التّرتيل
تَبُثُّ حنينيَ الجوّابَ للقريه
وتخلع عن مدينتنا
قناعَ الزّيف

***

مدينتنا على موعد
لعالَمنا الذى لم يأتِ بعد
تعالىْ ، عانَقَ الوردُ الظّلالَ الحُمر
وماج عبيرُه الفوّاحُ فى الآفاق

وأهْدَانَا غروبُ الشمس
جناحاً ، زهرةً بيضاء

***

تلاقَينا فكان العالَمُ المَراحُ دنيانا
وكنتِ الحب
ورؤيا لم تزلْ في القلب
أتى فرسانُنا الأبرار فوق التَّل
ومات الخوف
وعاد الشوقُ ماريّا

***

على أفقٍ من البلّور والمخْمل
ونهرٍ ضمّ مسرانا بغير سماء
تنادَيْنا فهلّت كالأساطيرِ
طيورُ الشاطىء الغافي بأحضان السمواتِ
تُحيّي عصرَنا الآتي
متى نلقاه ماريّا ؟

على مقبرة كنيدي

لِمَنْ رَنَتْ في صمتها تلك العيون

واصطفّت الأطفال والورود

في موكبِ الحرّاس والأعلام

نَمْ في سلام

تحت المروج الخضْر والظّلال

ولْيَنتزعوا من حولك الأسوار

ويُطلقوا الطيرَ الأسير

ليجتلي شمسَ النّهار

ياومضةً تألّقت هنيهةً

في مَعقلِ الظّلام

فوق الرّياح العازفاتِ في الهَجير

وصرخةِ السُود العَرايا في السجون

« أوّاه لو شهدتَ أطفالَ الزنوجِ
... يَجْهَشونَ بالبكاء
كيف هوَتْ فوق الدفاتر الوجوه
مات نشيدُ الصبحِ فى الشفاه
واختنق الصغارُ بالنشيج
حينَ نعاه فى الأثيرِ النذير »

***

شاعرتى ، لا تجزعى إن المصير
مِلْكٌ لنا
رَهنٌ بأيدينا
وليس مَن تبكين أسطورةً
وليس بالمعلّم الأخير
صوتُكِ يا أختاه سيفٌ على
رقابهم مسنون
فلتَضْرِبى
ولتُضْرِمى النيرانَ فى الصدور
لونُكِ حبلٌ شدّ جلاّدَهمْ
أيقظَه من عالَم الجنون

فلترجمي عصابةَ الجُناه
بشعرك الصّافي الشّجاع الحزين
وعلّمي الصغيرَ كِلمتين :
لا تَستكنْ
قد فتّح التاريخُ أبوابَه
فلتُقبلوا يا صانعي الحياه
ولْيسقُط الطُغاه

من أين يارفيقة المساء ؟

كقطرة النّدى على فمِ الكنار
خطرْتِ فى قلبى
عليكِ من عرائس البحار
غلالةُ الحبّ

***

عيناك ها هنا غريبتان
نرجستانِ من حدائق الشّمال
تفّاحتانِ وجنتاكِ ... عطرك المثير نفحة البحار
صوْتُك يا غريبةَ الدّيار
أهاتُ نايٍ فى ليالى شرقنا القديم
من أين يارفيقةَ المساء ؟
من وطن الشُّرفة والقيثار
من شاطىء الأقمار

تسبَح فى بحيرةِ الرّومان (١) ؟
صديقتى
لم يَعُدْ الرومان
وأقبلت ، عادت بياتريس (٢)
غريبة ، مبهورةً كالحُب
تَطير فى المدائن المُعلَّقه
تنساب فى ساحاتها منطَلِقَه
تبحَث عن عشٍّ لها ، عن قلب

❁❁❁

والهْفَتى عليكِ فى رهافة القَدَم
تدق فى أرضِ المطار
والهْفَتى على فؤادى
يشرَبُ أدمُعَ النّدم
على الليالى ، لن تعود
واه لوتعود ... !

---

(١) يطلق بعض المؤرخين الأوربيين القدامى هذا المصطلح على البحر الأبيض المتوسط

(٢) بياتريس Beatrice هى محبوبة دانتى Dante الشاعر الإيطالى العظيم وملهمته الخالدة .

الموعد

رسالة من طيار أمريكى عائد من فيتنام

من أقرب خطوٍ تقوى البشريّه
أن تَبلغَه بشجاعتها
كانوا يلقَون الموتَ الهابطَ
فوق حقولِ الأرْز
أقزامٌ أقوى من كل عمالقة الأرض
أقوى منا نحن جبابرةَ القرن العشرين
آلهةَ القمح المسموم
أعداءَ التّنين

***

دمّرنا قريتَهم .. أهلكناها
غلّتهم حرّقناها
وذبحنا كلّ الأطفال



لكنْ لم ينم الحزُن
لم يطرُق أعينَهم خَوْف
لم يطرقْها أبدًا
ورجَعْنا لم نهتكْ حَرماتِ الموتى
ولدوا ، عاشوا ، غاصوا فى الأرض
عادوا أحياء
أضعافا أضعافا أحياء
أيديهم ناشبة بتّراب الحقل
أعينهم ماثلة فوق الظّل
وقوافلهم تحدوها الشّمس
من خلف سحابات الشّرق
ما كانوا مَرَدَه
كانوا بشَرًا
دمُهم غشّى أيدينا
نحن الموصومين
نحن الجبناءَ المهزومين
جلادِى الكلمه
صنّاعَ الأحزان

وعرفتُ ، عرفتُ ، عرفتْ
كيف يذوب الواحد فى الكُلّ
تفنى البذرةُ فى الشّجره
كيف يموت الإنسانُ شجاعا
لا يخشى الموت
يُلقىَ من شُرفات الأفْق
مكتوفا ، لا يُلقِى كلمه
يَرمى قاتلَه بالصّمت
ويعود إلى الأرض الأم

* * *

ويلٌ للجلاّدى الكلَمه
صنّاع الأحزان
موعدهم عند السور
يوم يموتُ الإفك
تُفْتَح أبوابُ التَّنُّور
ويعيش الإنسان
لا يخشى الموت

غفـــران

كان اللقاء تحت خيْمة الغروب
سيدتي ، وكنتِ ضوءنا ودفئَنا
هديّةً من شاطئ جمّعنا
هناك في مواطن النّجوم
ولم يزل يهدر في صدر الغريب
بين النّدَى والورد والغيوم
بين هُموم المنتمِي
وذكرياتِ الوثني

***

وحين غاصت في الثّرى خطوتُنا
واعتنقت فوق الذُّرى نظرتُنا
في عالم الرّبّ التّرابيّ الصّغير
لَمْ نعبدِ الإلــه

أسكرَنا ، جثا لنا
مضى يُناغى حُلمنا
يلمّ شملنَا
لكنّنا لن نعبدَه
فؤاده الميِّت من فولاذ
زَيْف النِّيون شُرفتُه
حديثُه ... خميلتُه
كَرْمتُه أفعى
تلفّ حول حبلها أعناقَنا
رحيقُها ندَم

***

لِمَ النّدم ؟
رفيقَ غربتى
لِمَ النّدم ؟
عالَمنا لم يأت بعد
ودربنا طويل
لكنّها ليلتنا
نقطف من أزهارها قبل الذّبول

وفى غدٍ بناتُنا
يزرعنَ من تُرابها حدائقَ الصَّباح
وربما دخلتَ ذات ليْلةٍ
مدينةَ المآذنِ المُعلَّقه
فاختلجتْ بين الجفون دمعةُ السرور
وخانكَ الكلام
لمَّا شهدْتَ فى حِمىَ المداخن المشيّده
عشًّا لعصفورَين
ظلاًّ لعاشقَيْن
وعطرَ تَذكارِ امرأه
أُنسيتَها ذاتَ مساء
غريبةً من نابلى
فى موطن النيون والفولاذ
وتُهتَ فى بحر النّدم

***

رفيقَ غربتى
لِمَ الندم ؟
لقاؤنا قدَر

غمامة فوق هجير المغترب
بشارة من الشّروق
ولن تضلّ بَعدَهُ
يا شُعلةً من أضلعٍ مُتّقِده
يمضى بها الشّاعرُ فى الطريق
بين الدروب المُوصَده
والخُطُواتِ المُجْهده

***

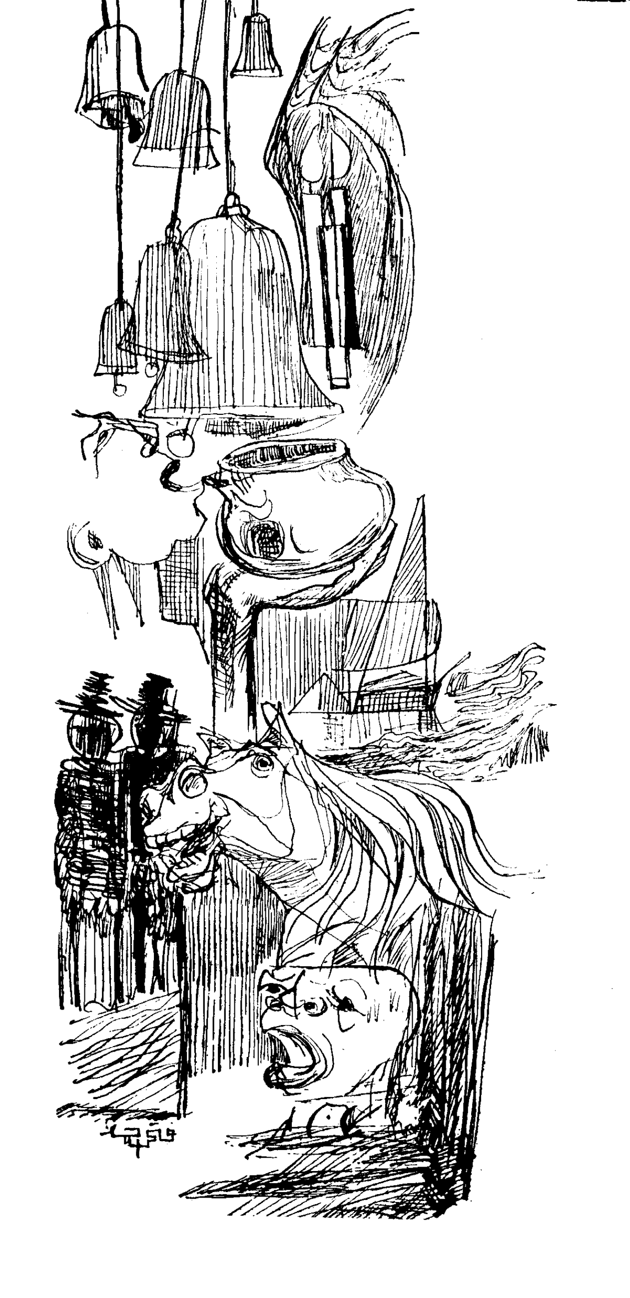
حبيبتى
كنارىَ الطروب
أفْدِى الفؤادَ المُقمِرَ الشفيف
وقدّك المنعّم الرّهيف
ولا حُرِمتُ ظلّك الرّطيب
أسأل كلّ ما عرَفتُ فيك من فِتَن
وكلّ ما بلوتُ من شَجَن
اسألكِ الغُفران
أسألك النّسيان

دقة الأجراس

إيڤون لم تُوقِدْ لنا الشموع
أوقَدَتْ الضّلوع
لما احتوتْني نارُها ، وانْسَدَلَتْ
أستارُها ، وذابت الأحلامُ والدّموع
والهَفْى
تناثر العَبير
ورقرق الغدير ...

***

صديقى من كولرادو
الأبُ من أصلاب جندىّ بروسىٍّ قديم
كان يصُبُّ خمرَه فى جمجمه
ويُسْلم الروح فدًى من ظلَمَه
ألقت به المرساةُ يوما فى الخليج



بين الرياح العازفات فى الهجير
ودقّة الأجراس ، والهدير
يطوى سفائنَ المهُاجرين

***

مهادها ، ملعبُها عند المرُوُج
بين الجياد الجامحات المستعصِبه
وصيحةِ الرّعاة بالزنوج
متَسيرُها
فوق الدروبِ الغارقاتِ فى الظلال
والشُعَلِ الملتهبه

***

يومَ الوداع للدّيار كان أوّلَ الحياه
وآخرَ المطاف فى وادى السّأم
موطنها حيث اشتهت ، كلُّ مكان
يبنى لها الدولار فيه سكَنَا
وحين حطّت ها هنا
كطائر مغامرٍ صغير
لم يرتعش جناحُها

لم ترتجفْ عرائسُ الأحلام
وطاب فوق غصْنه الجنَى
الشّعر تاجٌ من لهَب
والمقلتان جنّتان للهوَى
للطّفل ، للعُشّاق ، للخيّام
وفى مدينة الدخان والنيون والدمَى
تفتّحتْ فى قلبها الرّطيب أمنيّه
وداعبتْنى من شفاهِ الوردِ أغنيّه :
« يا فارسَ المساء
عرّجْ على مدينة النّساء
كلُّ النجوم فى الثّرى
لا نجمَ فى السماء
لاخوفَ .. لا أحزانَ .. لا ملَل
الليل قاهرُ النّهار ، والنّهار فارس الأملْ »

***

واشتعلَتْ بين الضّلوع شمعةُ الحنين
وذاب فى رؤاه صوتُها الحزين
رفيقةَ المساء تحلمين

بالريح والأجراسِ والمُهاجرين
وبالجيادِ الجامحاتِ المُتعَبه
والشُّعَل الملتهبه
صديقتي
على السّحاب النجمُ يحتجب
والليلُ يمضي والتّعَب
هيا لِنُدركَ الشروق
.. وانحدرتْ على ندى الصّباح دمعتان
ولم تُجِبْ
وأدركَتْ على الطّريق مَركبَه
تَطوي الجيادَ الجامحاتِ المُتعبه
والشُّعَل الملتهبه

غيـــاب

على غيرِ موعد
رأيتُكِ .... أحببتُ ... ثمّ التقَيْنا
حفَرْنا اسمَنَا ها هُنا
على المَوْج .. فى الرّيحِ ... فى المُنْحنَى
رسَمْنَاه فوقَ شفاهِ الرّبيع
عزَفناه بين ظِلالِ الشُّموع
ولم نَنْس أنّا
غريبانِ عاشا غداً لم يَجىءْ
وهاما بماضٍ بعيد
ويومُهما معْبَرٌ لم تُضِىءْ
نجومٌ به واحتوانا اللّهيب
وأشرقَ وجه القَمر
على النيلِ فى ليلةٍ لم تَعُدْ

وقلنا سيبقى يُنير الدُّروب
ويفرشها قلبُنا للأبد
ولنْ نفترِق
عرفتُ .. انتظرتُ .. وفى الفجرِ عُدنا
أسيرَيْنِ فى معبرٍ لا يُضيء
وأصبحتُ وحدىَ أفقدُ ظِلِّى
وأنتِ تغيبينَ خلفَ السُحُب
ولا تتركينَ شُعاعَ ابْتسامَه
علِمْتِ انتظارِى لها طَولَ ليْلى
علِمْتِ شقائى بها إنْ تغبْ
بغير وداع

ابتسمى

بين حَفيف الموجات

ورَفيف السرّ العارى

فوق شفاهٍ عَرفت مُرّ الصّبر

ران علينا الصمت

طيرا أطْلَقَه عاتٍ مجهول

فوق ضِفاف النيل

غشّانا خوفُ السّاعات

تزحف فى أذيال الظّلّ السّارى

وجسورٍ تحنو رِفْقا بالخُطُواتِ الجَذْلى

والشّمس تُوَدّعها كلّ مَساء

ينساب الحُبّ لمَرْأى اللّيل

وتدور جلابيبٌ بيضٌ بالفُل

بينَ زِحامِ العَجلات

والنّجْم يُطل
لكنّ السّاعات
تمضى عَجْلَى
تستَبق الخُطوات الجذْلى
ومعابرنا لا تدرى
لا تدرى
ودخانُ يُخفى وجهَ زمانِ الحُب
فى وهَج الظلمه
يا قلب

***

ضاعت منى الكلمات
أنتِ الكلمه
أنتِ زمانُ الشّعر
ابتسمى
ما أجملَ هذا الكون
ذابت أغلالى ، غاض الحُزْن
واشتعلَتْ نار الأبديه
بين جوانحنا ، وانهارَ الكَهف



ورأينا وجهَ العالَم
يا للروْعه
يسبح فى إشراقةِ حُب
بين الشُّرُفات الورديه
مات الخوف
واستعلى ظلُّ الإنسان
يعتنق اثنين اثنين
لازمنا ، لا قيدا ، لا أبعاد
ابتسمى

كلماتك

كلماتُكَ فى كلّ مطارِ
تتبعنى .. شلاّلَ عذابِ
تسبقنى
تأسى لغيابى
يُشقيها ترحالى
تجوالى فى أرض المجهول
عشقى لحنَ البرّيّه
وبحارٍ سَبْع
تشتاق تضمّ الأقمار
ورياح أربع
تشدو للحرّيّه

***

ما زِلْتَ تغنّى الذّكرى

تطلق فجراً من قلب الليل
ترفع سداً فى وجه الطّوفان
تتحدّى النّسيان
الكون جميلٌ .. ما أحلى
أطلقْ أجنحةَ الوجْد الأبدىْ
ينجاب لعينَيْكَ السّر
ما أروعَ أن يعتنقَ اثنان
بينهما جسرٌ لا يُعبَر
إلا فوق النيران

أمنية

فى شعرك المنسدل الحرير
رشقت لى زهره
شممت فيها عبق البحار
سمعت ما تناقل السحار
غنيت للذكرى

***

هواى ما زال كما علمت
أصداء قيثار بعيد
تذوب فى قلب الشريد
ولا يزال طائر ممراح
يحسو الندى على ربا الصباح
ألمح فيه من أحب
أهيم فى عبيره الفواح

أقول : أنت

***

فى غُرْبتى كان اللقاء
فاضت عيون السّحر حولى
فقدت ظلّى
عشتُكِ أنتِ الضّوء ينهلُ
ينساب ، يخضلُ
يُورِق أخضرَ الغصون
ويوقِظ الطِّفْلَ القديم

***

فى عودتى رمى بىَ الظلّ
مُغلّلا فى فَجْوَةَ النّسيان
تحت سنابك الزمان
تغوص فى الأضلاع ، ترتدّ
موجاتُها السّوداء ، يمتدُّ
رنينُها الكئيب
يَسوم روحى الوَيل

يُذيبُها مقاطعاً في الليل
هتافَ طائرٍ غريب
يودّ لو يعود
يودّ لو يعود

الحـــزن

حين أتانى الحزن ساعةَ المساء
على جوادِه المُعفّر الجبين
يبحث عنى فى ظلال المُنحنَى
وتحت ضوء القَمر الحزين
لَوى عنانَه وسار
لأنّ قلبىَ الغرير كان فى انتظار
أن تُقبلى يا طلعةَ النهار
حمامةً وزهرةً ودار

***

وحين عادَ بعد ليْلتَيْن
يَتبَع خَطْوِى فى الطريق المُوحش الطويل
ضلّ الطريقَ لم يجدْنى
أخطأنى



وغاص في ظلّي
ثم مضى مختفيا في المنحنَى
كأنما عيونُه الرّهيفة النّصال
تغرس في صدري سنابكَ العَناء
ترقُبني
أتبَع خطوَكَ الدّفِيء في مفازة الشتاء
أقول ماذا لو أتيت
أقبلتِ يا شمسَ النّهار
حمامةً وزهرةً ودار

***

يا فارسَ الهُموم يا جوادَه المُعَفّر الجبين
حان اللقاء .. إن قلبي طائرٌ حزين
ملّ السُّرى أدرَكَه الكـــــلال
حانَ الشتاء .. جئتَني في موعـــدِك
موعدك الضّياع والنّدم
يا فارس الألم
وموعدي يا واحةَ القلبِ الشّريد
الصيفَ تقبلين يا شمسَ النهار
حمامةً وزهرةً ودار

أمسية على النيل

على موجاتـــهِ السّمراءِ طَوّفنا
سهرنا الليلَ بعدَ اللّيل ...
.. لم نركبْ بساطَ الرّيح
وكانت بيننا الحُرّاس .. لكنّا بلغناها
ولاقتنا مدينتُنا بلا موعـــد
طرقنا بابَها .. أعطتْ مفاتحَها
وباحت بالذى أخفت حناياها
عَبرْنا كلّ ما نَشَرتْ مراياها
من الأنوار والأظلال
وكلّ جسورهـَا النّشْوى على خطوِ المُحبّينا
وأصداءِ المُغنّينـــا
على أبوابها يتهدّل الريحانُ .. والأطفال
إلى مرآكِ تستبقُ

تحفّ بثوبكِ الورديّ أيديها

وفى عينَيْك ، فى شفتَيْك ، أطيارٌ تناديها

وأهدتْكِ الصّبايا حُلْمَ ماضيكِ الذى عادا

تدلّى من حدائقنا عناقيدا

وعقدُ الفُلِّ ، والأمواج ، والشّفَقُ

وتشتبك الأيادى والعيون السوّد تعتنقُ

***

وأدْرَكَنا على دربِ المساءِ هـلال

يُهادينا ابتسامَتَه . . يمُدّ يداً ليلقانـا

سمعنا خفْقَةَ الميلادِ .. أبحرنا لنلقـاهُ

وكان شراعُنا نغماً على شفَتَيْ نسيمِ النّيل

وعطْر اللّيل

على أبياتنا انتثرت على الطّرُقِ

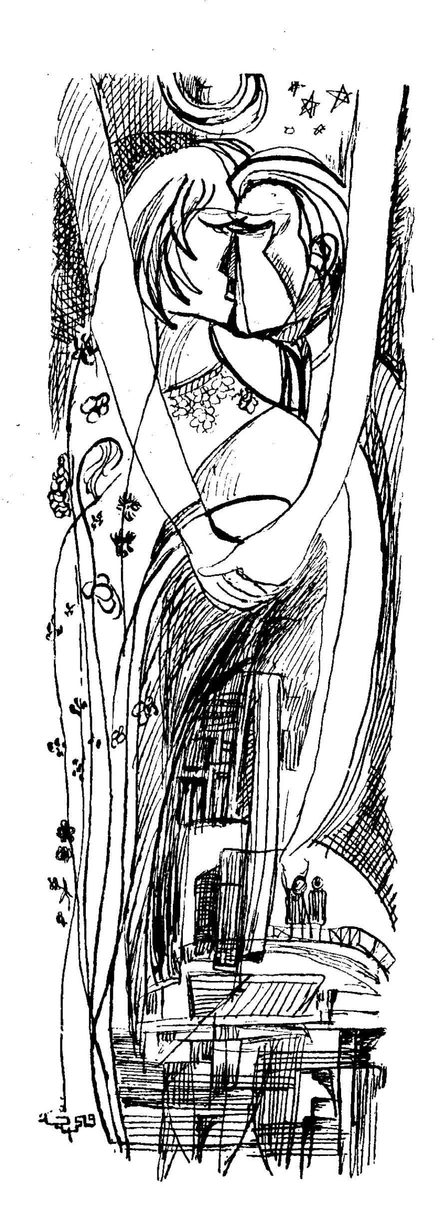
وذابت بين أعيُنها حناناً حبّةُ العرَقِ

وكنتِ النجمةَ الخضراءَ والوردةَ والطّفله

وملتِ علىّ — والعينان تبتهلان — فى قُبله

لأنك قد تعلّمتِ .. ولم تنسَىْ

بأنّا عند طلْعتـهِ



نُدارِى وجدَنا المشبوبَ بالتّقبيل
تُسابقُنا الصّغارُ إليه بالتّهليـــــل
ونلمحُ فى استدارتـــهِ
غداً نحياه بالنجوى وبالرؤيا
نُطيل العُمْرَ بالهمْسةِ واللّمْسةِ والضّمّه
ونأسو وخْزةَ الأشواكِ بالبسْمةِ والكِلْمَه
ونُقْرِئُ كلّ مَنْ نلقى سلاما
وموّالا على أرغول

رســـالة

فى وِحدتى أشتــاقُ لَكْ
تَئِنّ أحنائى عليـــــكْ
تَحِنّ عيناىَ إليـــــكْ
كلَّ صباحٍ تُولَدُ الطّيور
يهمس فى حديقتى الأمـــل
ويعتــلى جــوادَه السرور
يقول قلبى جـــــاء
سمعت خطوَتَــــــهْ
رأيتُـــه
نَظْرَتَهُ ، ابتسامتَــــهْ
شرفَتنا تطلّ فوقَ النّيــلْ
لفتَه ، إشارتَــــــهْ
قوامَهُ النّبيـــــل

يا شَجني

أتَى مسائيَ الحـــــزيـــن

ولم تَصِلْ رسالتُـــــــهْ

ولم تـــزلْ حـــــديقتي

محـــرومةً تَذكـــارَهُ

تشتاق زهرَهُ وطـــــيرَهُ

غناءهُ ، عبـــــــيرَهُ

تودّ حُلوَهُ ومُـــــرَّهُ

وتستحثّ نـــــورَه ونارَهُ

متى يفي بوعــــــدِهِ

يكتب لي

لي مرّةً

أسمعُـــهُ

أراهْ

نظرتَه ، ابتسامتَهْ

شرفتَنا تطلّ فـــوقَ النّيلْ

لهفتَـــه ، إشارتَـــــهْ

قوامَـــه النّبيــــــلْ

أشـــواق

يا حُبّتى

لا تخفضْ من صوتـــكْ

لا تبطىءْ من خطـــوكْ

فأنا ما زلتُ هنـــــا

والقمر الحانى يحتضن المـــــوجاتْ

والورد على كل الشُّرُفـــــات

الكـون جميـــلٌ .. ســـا أحلى

ما أحلى .. هــــل تسمعُنى ؟

صـــوتى نايٌ يهتف باسمـــــك

قلبى ترنيمـــةُ وجْــد

تحملها النّسَمات إليك

تسأل عنك

وعَبير الليل يذيع الأسرار

ويناغى الأشجار

قلبى ترنيمة وَجْد

تسأل عن غصن كم جمّعنا

وحدّنا .. أغرانا .. طار بنا

لم نَدْرِ إلى أين

عاد بنا طفلَيْن

قلبى تَرنيمة وجْد

تسأل عنّا

تسأل عن نصفَيْنِ التقيا

ذات مساءٍ فى ليلة حب

تسألنى

لمَ أنتَ هناك

وأنا مازلت هنا

بين رَفيف الموجات

تحت ظلالِ الشُّرُفات

وحدى .. أرقُب خَطْـوَك

أسمع همسك

أنتظرك ..

يا حبي

طال عليّ الليـل

طافت حولى أشباحُ الويلْ

لا ترسلْ لى تذكارا عَبْرَ بحارِ الشّوقْ

يوقظ أسرارى

لا ترسل قُبُلاتِك عَبْرَ نَسيم اللّيل

تطفِىء نارى

واعْبرْ جسرَ الأشجان

تجدِ العالَمَ ممتداً بين عيونِ الأصحاب

وشفاه الأحباب

عالَمنا عشٌ يَجْمَعنا إن شئت

يَجْمَع ما فرّق بُعدُ الأوطان

ما عزّ على النّسيان

وطواه الحرمان

***

أقبِلْ يا حُب

واعبُرْ جسرَ السُلْوان

فأنا أشتاق إليك

لا تذكاراً . لا قُبلاتٍ عَبْرَ الريح
تَروِى ظمَئى
تَشْفى القلب
تأسُو الرّوحَ المجروح
بيتى بُستان الأطيار
عشٌ مهجورٌ بعـــدك
ومدينتُنا دِفْء السّمّار
ليلٌ شاتٍ فى بُعْدِك
آهٍ من غاباتٍ وبحارٍ تفصلنا
تفصِل ما بين يدينا
تفصل ما بين خـَطانــا
تنزعنـــا بيد القَسْوه
من شُرفات النّشوه
وليالينا الحُلوه
لمَ أنتَ هناك
وأنا ما زلت هنا
آهٍ من أيدى حُرّاسٍ تحجبنا
تُخفى عنّا وجهَيْنا

تُحيي جُرحَيْنا
تسأل أين هَوِيّتنا
من أين أتيْنا
تنكر لَغتَيْنا
لا ترحَمُنا
آهٍ من لُغةٍ تَجْمَعُنا وتُفرِّقنا
ترعانا وتُمزّقنا
لغة لا يعرفُها وطنُك
لا يعرِفُها قومي
آهٍ لوْ نملك أن نتبادلَ دون الكلمات
كلَّ أحاديثِ القلب
ونثورَ على لُغَةِ الغُرَباء
آه لوْ نملك يا حُب ..

كل هـذا الحب لى

يا إلهى ! كلّ هذا منك لى
منك لى !
كلّ هذا الورد ... هذى الكَلمات
نفحة العــِطر .. وسحر الأغْنيات
كلّ هذا الحب لى
يا إلهى .. كم أحبكَ !!

***

يا لأمطارك ترْوِى ظَمئى
وتُناديني لأنسابَ إليـــــك
أتلقّاكَ على صَدْرِى فتَسقينى وتَشرب
وتناديني ، تغنّيني ، وتَحكى
لى حكاياتٍ جميلــه
تُسدِل النّومَ على جفنى ستاراً من حَرير

وكأنى فى خميله

من نجوم ومياهٍ وزهور

لست أنساها .. ولا أنساكَ مهما

طال بى الشوق إليـــك

ورمانى

وغزا روحىَ همّا

يا إلهى .. كم أحبك !!

***

بائع الفـُلّ الذى مرّ بنا

عند شطّ النّيل هل يذكرنا ؟

يا حبيبى .. أين راح ؟

ثوبه الأبيض من لون الصّباح

صوته الشّادى يـُحيّينا ، يسلّمْ

نظرة العينين منه تتكلّمْ

أنا أيضاً لىَ حـُب

لىَ قلب ...

يدك الحلوة مازالت تُسوّى
لىَّ عقدا من زهـــــور
يا حبيبى كم أحبك
كان لى أحلى هديه
منك لى
عند شطّ النيل والليل حوالينا حنون
وعلى الضفّة برج القاهره
والأغانى الساحـــره
والعيون الســـاهره
وأنا أنتَ نغـــنىّ
ونهيم
أتلقاكَ على صدرى لتسقينى وتشرب
وأغنىّ أنتَ لى
كلّ هذا الحب لى
يا إلهى
كم أحبّك ! !

٢٥/٢/٦٦

أغنية للحب

مازلنا نسمع صوتَهْ
تشجينا مرثيتُهْ
نجـــواهْ
يا للهْ
ألفُ نهارٍ يعلونا
لا يَحْرِمنا أفراحَ الشمس
نَشريه بالثّمن البَخْس
أن نَحيا ليلـــه
خلفَ عيُون الشّمس
نُشعِل جمَرات العِشْق
نُطفِىء مصباحَ القلب
باسْم الحُب

باسْم ِ الحبّ نُغَنّى ونَمُوت

نُسْكت دقّاتِ الغربه

تَحْفُر فى الأضلاع

نَنسى الأوجاع

كم رفقاءٍ ساروا فى الدّرْب

ما عادوا أبــدا

كانوا يجتَذِبون خيوطَ الشمس

لتضىءَ عيون الأطفال

وشرِبْنَا من كَرْمَتَهم

وأكلنَا من دَوْحَتهم

ثم مضَيْنَا

ننسى الأوجاع

نحيـــا ليْلَه

خلفَ عُيون الشّمس

نُشعل جَمراتِ العشق

نطفىء مصباحَ القلب

باسم ِ الحُب

باسمِ الحب نواسى موتانا
نبكى الأحيـــــاء
ونُقَبّل صدأ الأصفاء

نتوارَى فى أعْشاشِ اللّيل
فى أحضانِ الوَيْل
نشكُو أحزانَ الغُرْبه
نجحَد أفراحَ الشمس
نشريها بالثّمن البَخْس
أن نحيا ليلـــه
خلفَ عيون الشّمس
نشعِلُ جَمرات العشْق
نطفِىء مصباحَ القَلْب
باسمِ الحُب

***

يا رُبّانَ الرّكْب العانى
فى ظُلُماتِ اللّج
أدركْ غرقانـــا
يَمّمْ وجهَك نحْوَ الشَّرق



أيقظْ موتانا

يستمعون هُتافَ الحب

ها قد عدتَ لقلبي

تحمل أغصانَ الغارِ

ياشمسَ نهارى

يا حبي

باسمك ، باسمِ القلبِ الغَض
باسمِ الحب

ما زلتُ على العهد

قالتها عذراءٌ فى ثوبٍ أبيض

تُومض عيناها بدموع الشوق

وتلاقت أيدٍ تحت عيون الشمس

وانسابت أغنيَّـــــه

بين ضجيج الرّكْب العائد

فوق مطار الأحباب

يا رُبّانَ الرّكْب العانى

فى ظلُمات اللّج

يَمّمْ وجهَك نحو الشَّرق
أيقظْ موتانا
أدرِكْ غرقانا
بالحـــب

أغنية إلى جمال عبد الناصر

كتبت خلال العدوان الاستعمارى الصهيونى
على أرضنا العربية فى يونيو ١٩٦٧

الأمهات والصبايا والصغار
يستعجلون طلعتَك
تخرج تملأ العيونَ .. تحمل البشاره
ينتظرون عودتَك
قامتُكَ الشمّاء قلعة المدينه
كفُّك توقد المصابيحَ
... تصدُّ الريحْ
تشلّ أقدامَ الظلام
اللهَ يا بطل
يا فارسَ الأمل

تـَقطـّع الصفير ... والغضب
وفِتيةٌ تفترش العـَراء حول الدار
وطِفلةٌ تجهش بالبكاء
والقلعة الشماء والطـُّوفان
بيتك ترعاه القلوب
يحفظك الرَّحمن
تبقى لنا ... فليلُنا الماضى طويل
يا غرسَ أيدينا
يا سِرَّ وادينا
ياروحَ شعبِنا النبيل

***

لا تحتجب ..
ما أظلمَ الليله
فلْنَحْم قلعةَ المدينه
انطفأت شُعله
معاً نصدّ الريحْ
.. نوقد المصابيحْ
اللهَ يادِرعَ العُناه

أيّةُ نارٍ أنضجت عودَكْ ؟
يا أنضر الأعواد فى حديقة الرجال
يا أصلبَ الرّماح فوق نيلنا
يا سلوةَ الجراح
يا خبزَنا وملحنا
يا عرق الأجيرِ
... وابتسامة الصغير
يا فارسا أطلَّ من تاريخنا
حُبًّا يضىء فى عيوننا
ترنيمةً فى المعبدِ
تكبيرةً فى المسجدِ
يا نصرَنا على الهوان
يا قاهرَ الأحزان
لا تنسَ ميعادك
لا تنسَ ميعادَ الصديق
معًا على الطريق
على الطريق
ويلٌ لقُطّاع الطريق

١٠ يوليو ١٩٦٧

صوت منار

نامت على صفّارة الأمان
تغمض عينيها على سؤال
« أين حكاية المساء
من أطفأ الأنوار
ماما ... وأغضب السماء ؟ »
وأنتِ فى النافذة الزّرقاء
تنتظرينَ عودتى ومطلعِ النّهار
وحدكِ .. والتّذكار
يملأ سمعيكِ بناقوس القطار
يعود من غزه
يحْمِل عطرَ البرتقال
ولعبةً إلى منار
ومفرشا للمائده
بناتُ يافا اللاجئات

نسجْنَه .. « هل يعجبك ؟
وقد دعت لى الأمهات .. »

***

لم تَمضِ غيرُ ساعةٍ
وانطلق النذير
تَقطَّع الصفير من جديد
يَرُوع طفلتى
يُسقط من أحضانها لُعْبتها
يخنُق طيفَ بيتِنا البعيد
يُسكت ناقوسَ القطار
ماذا أصاب اللاجئات .. ؟
ماذا تقول الأمهات .. ؟

***

وجهُ منارٍ صَحْوُنا
دقَّة قلبينا
كِلمَتنا التى اختفت
ضِحكتنا التى انتهت

نجمتنا تُنيرُ عندما تُطفَــأ الإضاءه

صوتُ منارٍ فجرنا

عودتُنا .. هُتافُنا معا

عبيرُ برتقالِنا

غناء أمهاتِنا

بناتِنا

أحلامُنا بمولد الحديقه

والشمس .. والراية .. والبراءه

تعود .. والحقيقه

١٢ يونيو ١٩٦٧

قصائد الديوان

القصيدة	الصفحة
– فتى من سلفادور	٥
– تذكار الأيام المائة	١٠
– أغنية فى ليل الغربة	١٥
– بيت ورياح	١٨
– رؤيا	٢٢
– على مقبرة كنيدى	٢٥
– من أين يارفيقة المساء ؟	٢٨
– الموعد	٣٠
– غفران	٣٤
– دقة الأجراس	٣٨
– غياب	٤٣
– ابتسمى	٤٥

القصيدة	الصفحة
ـ كلماتك	٤٩
ـ أمنية	٥١
ـ الحزن	٥٤
ـ أمسية على النيل	٥٧
ـ رسالة	٦١
ـ أشواق	٦٣
ـ كل هذا الحب لى	٦٨
ـ أغنية للحب	٧١
ـ أغنية إلى جمال عبد الناصر	٧٦
ـ صوت منار	٧٩

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة